Research Journal Ulum-e-Islamia
Journal Home Page: https://journals.iub.edu.pk/index.php/Ulum.e.Islamia/index
ISSN: 2073-5146(Print) ISSN: 2710-5393(Online)
E-Mail: muloomi@iub.edu.pk Vol.No: 30, Issue:01.(January-June) 2023
Published by: Department of Islamic Studies, The Islamia University of Bahawalpur

نظرية العقلانية المؤمنة عند الدكتور محمد عمارة رحمه الله

Theory of Faithful Rationality in the view of Dr. Muhammad Amara (RA)

Mohammad Shoaib
PhD scholar, Faculty of Islamic Studies (Usuluddin)
Department of Da'wah and Islamic Culture, International Islamic University, Islamabad
Behnud.delawary@gmail.com
Dr. Muhammadi Abdul Basir Hudairi
Professor Emeritus, Faculty of Islamic Studies (Usuluddin)
Department of Da'wah and Islamic Culture, AL-Azhar Uiversity
Mhmdyhdyry@gmail.com

In Islam Rational or Intellect (Al-Aql) has a high and unique position, which we cannot found in other previous religions. It is a compulsory condition for the submission, practice and conformity of Islamic rules and regulations. The basic source of Faithful Rationality; is the Noble Quran, while there are 267 verses discussing Rational through various aspects. But there is one thing else which is called An-Naql mean Revelation (Holy Quran and Sunnah) instruction received through Revelation or Wahi. In addition, intellect in Islamic Shariah is a source for gaining knowledge and achieving reality of things, but not a perfect source. This is a capability of human being which is limited and need guidance from An-Naql or Revelation, and it is subordinate of Revelation. A person can achieve through utilization of intellect highest ranking of guidance and direction. But in this era especially in western civilization Rational is considered as opposition or incompatible to Revelation or An-Naql or at least there is some misconception in this regard, while the opposite of intellect is madness rather than An-Naql because Islam insist on rationality and use of intellect so many time in various ways and which is a mandatory requirement for the compulsion of Islamic rules and instruction.

Keywords: Al-Aql, Rationality, An-Naql, Revelation, incompatibility.

الملخص:

إن مقام العقل في الإسلام هو مكان عال وفريد، ولا نظير له في الشرائع السابقة على الشريعة الإسلامية الخاتمة. العقل في الإسلام هو مناط التكليف بكل فرائض وأحكام الإسلام أي شرط التدين بدين الإسلام. والقرآن الكريم هو مصدر ومنبع العقلانية المؤمنة؛ فلقد بلغت الآيات القرآنية التي تحدثت باللفظ عن العقل ومرادفاته 267 آية. والعقل في المشروع الإسلامي سبيلٌ من سُبُل المعرفة يستقل بإدراك أشياء، ولكنه لا يستطيع أن يستقل بإدراك كل الأشياء؛ لأنه مَلَكةٌ من ملكات الإنسان المحدود الطاقات والنسبي الإدراك. ولهذا، تتزامل وتتكامل مع العقل سُبُل وهداياتٌ أخرى (الوحي الإلهي والتجربة والوجدان) حتى يستطيع الإنسان أن يقوم بمهامه في الأرض على وجه لائق حسن دقيق، قَدْرَ طاقته البشرية. المقابلة بين العقل والنقل هي أثرٌ من آثار الثنائيات المتناقضة التي تميزت بها المسيرة الفكرية للحضارة الغربية، أما في الإسلام والمسيرة الفكرية لحضارته وأمته وخاصة في عصر الازدهار والإبداع إنَّ العقل لم يكن أبداً مقابلاً للنقل لأنَّ مقابل العقل هو الجنون، وليس النقل، ولأنَّ النقل الإسلامي أي الشرع/ الوحي الإلهي هو الداعي للتعقل والتدبر والتفقه والتعلم، ولأنَّ العقل الإنساني في الإسلام هو أداة فقه الشرع، وهو شرط ومناط التدين به.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا المبعوث رحمةً للعالمين، نبينا مولانا محمدٍ وعلى آله وأصحابه أجمعين ومن دعا بدعوته واقتدي بسيرته إلى يوم الدين وبعد:

إن من المسائل الشائكة والمشكلة قديماً وحديثاً هي قضية مقام العقل والعقلانية بين الحضارات والأديان والمذاهب والمدارس الفكرية المختلفة.

والدكتور محمد عمارة رحمه الله أحد أهم مفكري مدرسة الإصلاح والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر لقد اهتم بقضية مقام العقل والعقلانية في الإسلام وأخذ على عاتقه تبيين هذه القضية في الرؤية الإسلامية الصحيحة من خلال النصوص القرآنية والحديثية والقواعد الشرعية ودحض شبهات التي تثار حول هذه القضية بأسلوب علمي عقلاني رصين. وفي هذه الورقية البحثية سألقى الضوء على رؤية الدكتور محمد عمارة حول مقام العقل والعقلانية في الإسلام.

هذا البحث يتألف من ثلاثة مباحث؛ في المبحث الأول سأتكلم عن موقف الفرق والتيارات الفكرية حول العقل والعقلانية كما قسمها الدكتور محمد عمارة رحمه الله وفي المبحث الثاني سأبين رؤية الدكتور محمد عمارة عن العقل والعقلانية في الإسلام وفي المبحث الأخير سأجيب عن مسئلة التعارض بين العقل والنقل من خلال كتابات الدكتور محمد عمارة رحمه الله. وقد استفدت في جمع وترتيب المطالب من كتاب المشروع الفكري للدكتور محمد عمارة من تأليف الدكتور يحيى رضا جاد وأسأل الله التوفيق والسداد.

المبحث الأول: مواقف الفرقاء المختلفة حول العقل والعقلانية

يقسِّم الدكتور محمد عمارة رحمه الله موقف التيارات الفكرية الموجودة على الساحة الفكرية محلياً وعالمياً إزاء «العقل والعقلانية [1]» إلى خمسة مواقف متعددة بل متناقضة سواء في الموقف المبدئي أو في المقصود والمراد من هذه المصطلحات:

أ– موقف التيار النصوصي:

يقف أصحابه عند حرفيات النصوص، ويتنكَّرون للنظر العقلي، بل أيضاً يخلطون بين «العقل»، و«الهوى»، كما لا يُميزون بين مفاهيم العقل والعقلانية لدى مختلف المذاهب والفلسفات والديانات والحضارات [2].

ب– موقف التيار الباطني:

هذا التيار يَدَّعي التصوف، لكنه في حقيقته أقرب إلى الغنوصية الباطنية التي اعتمدت على «الحدس» دون «العقل والنقل والتجارب الحسية». ولذلك تنكر هذا التيار للعقل والعقلانية كما اعتمد –في التعامل مع النصوص الشرعية– على التأويل العبثي؛ الذي لا ينضبط بضوابط اللغة، وثوابت الاعتقاد والمحكَم من النصوص.

ج– موقف التيار الحداثي الغربي:

هذا التيار له امتدادات متغربة في واقعنا العربي والإسلامي، ذهب إلى تأليه العقل، فَجَعل شِعاره: «لا سلطان على العقل إلا للعقل وحده» بإطلاق وتعميم وشمول واستغراقٍ كامِلَيْن تامين. وبذلك أضفى على سلطان العقل وقدراته طابع «الإطلاق» مخالفاً بذلك دعوته إلى «النسبية» في كل شيء بما يشمل الوحي والدين. وهذا التيار انقاد للغرور العقلاني فافتعل معركة شرسة لا داعي لها بين العقل والنقل.

د–موقف تيار ما بعد الحداثة:

الذي يحاول التمدّد على أنقاض الحداثة الغربية والداعي إلى تفكيك منظومة الحداثة ومُسلّماتها الكبرى حول العقل، والعلم والتقدم، والذي لا يُقدم للإنسان سوى العدمية، والفوضوية التي تصيب الإنسان بالشك العبثي في كل شيء، ومن ثم تَحْرِمه من أي لون من ألوان الأمل، والطمأنينة، واليقين.

هـ– موقف تيار الوسطية الإسلامية:

هذا التيار يقيم عقلانيته على كتابَي «الوحي»، و«الوجود»؛ على نور الشرع، ونور العقل؛ لتكونَ عقلانيتُهُ مؤمنةً متوازنة؛ العقل فيها هو الأساس، والدين فيها هو البناء على هذا الأساس المتين من الفقه والوعي بالشرع المنَزَّل. هذه العقلانية المؤمنة التي نبعت من النقل القرآني وتبلورت في علم الكلام الإسلامي –علم التوحيد– الذي كانت وظيفته إقامة البراهين العقلية على صدق الغيب [3].

سمَّى الدكتور محمد عمارة رحمه الله هذا الموقف بموقف «العقلانية المؤمنة» وسيأتي بيانُ وبسط مضمونِ العقل والعقلانية عند هذا التيار في المبحثَين الآتِيَيْن:

المبحث الثاني: مقام العقل في الإسلام

لقد كتب الدكتور محمد عمارة رحمه الله كتاباً مستقلاً عن هذا الموضوع بعنوان "مقام العقل في الإسلام" وتحدث عن هذه القضية بتفصيل وذكر: أن مقام العقل في الإسلام هو مكان عال وفريد، ولا نظير له في الشرائع السابقة على الشريعة الإسلامية الخاتمة. العقل في الإسلام هو مناط التكليف بكل فرائض وأحكام الإسلام أي شرط التدين بدين الإسلام. العقل في الإسلام هو سبيل الإيمان الله ووحدانيته وصفاته؛ لأن الإيمان بوجود الله سابق على التصديق بالرسول وبالكتاب الذي جاء به الرسول؛ لأنه شرط لهما، ومُقدم عليهما. فالتصديق بالكتاب متوقف على صدق الرسول الذي أتى به، والتصديق بالرسول متوقف على وجود الإله الذي أرسل هذا الرسول وأوحى إليه، والعقل هو سبيل الإيمان بوجود الله سبحانه؛ وذلك عن طريق تأمل وتدبر بديع نظام وانتظام المصنوعات الشاهدة على وجود الصانع المبدع لنظامها وانتظامها، فالعقل هو الطريق إلى معرفة الله؛ لأن العقل يتفكر ويتدبر ويتعقل في الخلق؛ فيُدرك أنه لابد من خالق متصف بكل صفات الجلال والكمال، فالعقلُ إذاً هو أداة الإيمان بجوهر الدين -أي الألوهية- (4).

وبعبارة أخرى، الجدلُ الفكري مع من لا يؤمنون بنصوص الكتاب والسنة يستحيل أن تكون أدواته النصوصَ التي لا يؤمن بها هؤلاء، ومن ثم فلابد من أداة ذات طابع إنساني، تتخطى حجيتها الأديان والحضارات والسلالات والقوميات، وهذه الأداة هي العقل بمناهجه وبراهينه؛ فنحنُ إذا شئنا أن نهدي أحداً إلى الإيمان بأن لهذا الكون خالقاً مبدعاً وقادراً، فليس السبيل إلى هذا تلاوةَ النصوص وتفسيرَها لأنه منكرٌ أصلاً لمصدر هذه النصوص، ومن ثم يتطلب الأمرُ سبيل إقناعٍ وأداة جدلٍ -غير هذه النصوص- نثبت بها أولاً عقيدة الألوهية ووحدانية الذات الإلهية (5).

ولهذا كله كان العقل هو أول الأدلة في الترتيب لا في التشريف (6)، بل هو أصلها الذي به يُعرَفُ صدقها، والذي بواسطته تَستبينُ حجية الوحي ونصوصه، وكذلك الحال في معرفة الأصول الشرعية؛ فالعقل هو سبب معرفتها، مع الحذق باللسان العربي (7).

ولهذا كله أيضاً كانت أول فريضة على الإنسان -إسلامياً- هي «فريضة النظر»، حتى قبل الإيمان بالكتب والنبوات والرسالات:

﴿فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ [الحشر: 2]، ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ﴾ [الطارق: 5]، ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾ [يونس: 101]، ﴿ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ﴾ [العنكبوت: 20]، ﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ ﴾ [الروم: 9]، ﴿أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ﴾ [الأعراف: 185]، ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: 191]، ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ١٨ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ١٩ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ﴾ [الغاشية: 17-20] ...إلخ.

إن قراءة كتاب الكون من أهم الفرائض التي نزل بها الوحي الإلهي على قلب رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم؛ لأنَّ القراءة والنظر والتدبر والتفكر في كتاب الكون والخلق هي السبيل للإيمان بالله والتدين بدينه وإسلام الوجه له سبحانه، لأنَّ النظر العقلي والفحص في الموجودات بالبرهان هو طريق الوصول إلى جوهر الدين والتدين ومعرفة الذات الإلهية. فالتصديق بالألوهية –ومن ثم بكتاب الوحي– ثمرة عقلية للنظر في كتاب الكون (استدلالاً بالمصنوع البديع على الصانع المبدع)، الأمر الذي جعل ويجعل التزاملَ حتماً، والاشتراك ضرورةً، بين كتاب الوحي وبين كتاب الكون، وكذلك بينهما وبين العقل كأداة للنظر فيهما معاً، متعاوناً في ذلك ومستعيناً بكل أدوات النظر وسبل المعرفة الأخرى [8].

من جانب آخر، نحن لا يمكن أن نَحْكُمَ أنَّ هذا القرآن وحيٌّ ومُعجِزٌ ومُتَحَدٍّ ومُنَزَّلٌ من عند الله إلا بفحصه والتأمل فيه ودراسته. ولا يكون هذا إلا بالعقل. والإسلام ذاته لا يمكن أن يكون رسالةً معجزةً وخالدةً وعالمية –كما تُصَرّحُ وتقطع نصوصه– إلا إذا كانت معجزتُهُ حُجَّةً دائمةً قائمةً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، لا حُجَّةً على مَن شاهدها فقط، ومن ثم موقوتةً. ولا يكون هذا إلا بأن تكون المعجزة عقلية. ومن ثم يتقرر أن القرآن الكريم معجزة عقلية؛ عُرِضَت على العقل، وعرَفتهُ القاضيَ فيها [9].

ومن ثم، كانت طبيعةُ معجزة الإسلام مختلفةً عما تَقَدَّمَها من طبائع معجزات الرسل السابقين؛ حيث جاءت معجزةً عقليةً لا معجزةً ماديةً تتخذ من العقل حَكَماً وحاكماً؛ إذ هو الوسيلة العالمية الخالدة والمشتركة والممكنة لإقامة الحجة على البشر جميعاً إلى يوم القيامة، ولتسيير أمورهم –في إطار هذا الوحي– دون وحي سماوي قد تقرر انقطاعُ نزولِهِ نهائياً، بخلاف المعجزات المادية التي لا يتعدى نطاق مفعولها من شاهدها.

وكذلك كانت علاقة «المؤاخاة» بين «الحكمة/ الفلسفة» وبين «الشريعة/ الوحي» في المنهاج الإسلامي، حتى يصح أن نقول صادقين: «إنَّ الإسلام هو الدين الذي تديَّنت فيه الفلسفةُ، وتفلسفَ الدينُ».. وبهذا يتميز موقفنا عن الحرفية النصوصية الظاهرية المتنكرة للعقل، وعن العقلانية الوضعية المنكرة لوحي السماء [10].

كذلك يؤكد الدكتور محمد عمارة رحمه الله بأن القرآن الكريم هو مصدر ومنبع العقلانية المؤمنة لذا في القرآن الكريم آيات تحضُّ على العقل والتعقل، وتستنفر العقل أداةً للوعي والمعرفة، تبلغ تسعاً وأربعين آية، وآيات تحض على النظر، في أكثر من ثمانين آية، وتتحدث عن اللب في ست عشرة آية [11]، وتتحدث عن النُّهَى في آيتين [12]، وعن الفكر والتفكر في ثمانية عشر موضعاً [13]، وعن الفقه والتفقه في عشرين موضعاً [14]، وعن التدبر في أربع آيات [15]، وعن الاعتبار في سبع آيات [16]، وعن الحكمة في تسع عشرة آية [17]، وعن القلب في مائة واثنين وثلاثين موضعاً [18]، وعن البرهان في ثماني آيات، ناهيك عن آيات العلم والتعلم والعلماء التي تبلغ في القرآن أكثر من ثمانمائة آية [19]. ولقد بلغت الآيات القرآنية التي تحدثت باللفظ عن العقل ومرادفاته 267 آية [20].

بل لقد جعل القرآنُ الكريم -فوق هذا وذاك- تَنَكُّبَ العقلانية والتعقل: السبيلَ إلى جهنم والعياذ بالله: ﴿وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٠ فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: 10-11] (21).

كما وبَّخَ المشركين الذين عطّلوا عقولهم: ﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ أَوۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: 46]. ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ [الأنفال: 22].

فضلاً عن امتلاء القرآن الكريم بالاستدلالات العقلية، حيث هناك مئات الآيات التي تستخدم المنطق العقلاني في المحاورة والمخاطبة والاستدلال والإقناع، والتي تسلك في الحجاج والقصص والاستدلال «سبيل الاحتكام إلى السنن والقوانين الكونية والاجتماعية»، دون أن تذكر مصطلحات العقلانية بألفاظها (22)، مثل قوله تعالى:

﴿قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ۝٧٨ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: 78-79]، ﴿أَوَلَيۡسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۚ﴾ [يس: 81]، ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۡ وَجَعَلَ لَهُمۡ أَجَلٗا لَّا رَيۡبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورٗا﴾ [الإسراء: 99]، ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾ [الأنبياء: 22]، ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: 91]، ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥۖ﴾ [الزمر: 36]، ﴿وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾ [النساء: 82]، ﴿فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ [آل عمران: 137]، ﴿وَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [الأعراف: 86]، ﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [يوسف: 109].

فها هو القرآنُ، جاء مستنفراً العقل كي يتعقل ويتفكر ويتدبر ويتفقه ويتعلم؛ جاء مخاطباً الفكر والعقل والعلم دون قيد ولا حد. ها هو القرآنُ، جاء مُحتكماً إلى العقل، ومستنفراً العقل للتعقل، وداعياً إلى التفكر والتدبر والنظر.

وبهذا يتضح أن القرآن الكريم هو مصدر العقلانية المؤمنة، والباعث عليها، والداعي لاستخدام العقل والتفكر والتدبر في آيات الله المنظورة والمسطورة جميعاً. وبهذا كله يتقرر أنَّ القرآنَ سبيل لتنمية العقلانية الإسلامية، بل أيضاً مصدرُها الآمر بها والداعي إليها دائماً وأبداً (23).

ولأجل حقيقة عقلانية الوحي الإسلامي هذه، كان نداء «البرهان» القرآني للآخرين: ﴿تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: 111]، ﴿قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ﴾ [الأنعام: 148]، ﴿أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [الأحقاف: 4].

إذا علمنا ذلك، أدركنا مقام العقل والعقلانية في الإسلام، وخاصة من خلال الكتاب المؤسس للدين والأمة والدولة والحضارة: القرآن الكريم.

فضلاً عن الأحاديث النبوية التي جاءت في فضل العقل ومكانته، والتي إنْ ضَعَّفها المحَدِّثونَ سنداً وروايةً لما على رُواتِها من ملاحظات، فإنها صحيحةٌ درايةً ومعنى ومفهوماً؛ إذ هي مُصَدِّقَةٌ لِمَا جاء عن العقل والعقلانية والتعقل في القرآن الكريم.

إذا أضفنا هذه الأحاديث إلى ما جاء عن العقل والعقلانية في محكم التنزيل القرآني أدركنا هذا المقام السامي والمتألق للعقل والعقلانية في الإسلام وفلسفته وحضارته، وكيف تفرد الإسلام بهذا التميز والامتياز الذي لا نظير له في أي نسق فكرى آخر دينيًا كان أو بشريا هذا النسق الفكري [24].

المبحث الثالث: دفع التعارض بين العقل والنقل في العقلانية المؤمنة

يرى الدكتور محمد عمارة رحمه الله أن المقابلة بين العقل والنقل هي أثرٌ من آثار الثنائيات المتناقضة التي تميزت بها المسيرة الفكرية للحضارة الغربية، لأن الفلسفة اليونانية قد وضعت العقل والبراهين العقلية في قمة أدوات البحث والنظر والاستدلال، لكن هذه العقلانية اليونانية قد تبلورت في مناخ لم يكن فيه وحي سماوي فجاءت عقلانية منفلتة ومتحررة من مرجعية الوحي السماوي، الأمر الذي حرَّمها من التوازن والموازنة بين الحكمة الإلهية والحكمة الإنسانية، ونفس الأمر عندما حكمت الكنيسة أوروبا سادت في لاهوتها مقولات مناهضة للعقل والعقلانية فدخلت أوروبا بهذا اللاهوت الكنسي المعادي للعقل إلى عصورها المظلمة من ثمة جاء رد فعل التنوير الغربي والحداثة الغربية على المستوى نفسه، فتخلفت إبان النهضة الأوروبية عقلانية لا دينية تؤله العقل وترفع شعار لا سلطان على العقل إلا العقل وحده، وهكذا عرفت الحضارة الغربية في طورها اليوناني عقلانية مجردة من الدين وفي طور نهضتنا الحديثة عقلانية معادية للدين، في هذا الوقت الذي دخلت فيه الحضارة الأوروبية عصورها الوسطى والمظلمة يضيف الدكتور محمد عمارة ويقول: هكذا كان المشهد العالمي فيما يتعلق بالعقل والعقلانية عندما ظهر الإسلام في القرن السابع للميلاد لاهوتياً كنسياً لا عقلانياً، وهنا تألقت العقلانية المؤمنة التي جاء بها الإسلام، فبددت بضربة من ضرباتها هذا الركام اللاعقلاني [25].

أما في الإسلام والمسيرة الفكرية لحضارته وأمته وخاصة في عصر الازدهار والإبداع إنَّ العقل لم يكن أبداً مقابلاً للنقل لأنَّ مقابل العقل هو الجنون، وليس النقل، ولأنَّ النقل الإسلامي أي الشرع/ الوحي الإلهي هو الداعي للتعقل والتدبر والتفقه والتعلم، ولأنَّ العقل الإنساني في الإسلام هو أداة فقه الشرع، وهو شرط ومناط التدين به. كما أنه لا غنى للعقل عن الشرع، وخاصةً فيما لا يستقل العقل بإدراكه من أمور الغيب وأحكام الدين؛ ذلك: أنَّ العقل، مهما بلغ من العظمة والتألق في الحكمة والإبداع، هو ملكة من ملكات الإنسان، وكلُّ مَلَكات الإنسان –وَفْقَ الخبرة التاريخية والمعاصرة– هي نسبية الإدراك والقدرات؛ تجهل اليوم ما تعلمه غداً، وما يَقصُر عنه عقل الواحد يبلغه عقل الآخر [26].

والحقُّ إنَّ العقل في المشروع الإسلامي هو واحد من الهدايات الأربع التي تمثل سُبُلَ المعرفة في الإسلام (العقل والنقل والتجربة والوجدان) وهذا هو ما يجعله عقلاً مؤمناً؛ لأنه غيرُ منفرد بتحصيل المعرفة؛ لأنه جزء من كل تتكون منه سُبُل المعرفة في نظرية المعرفة الإسلامية (27).

إنَّ العقل الذي هو أحد سُبُل الوعي الإنسانية، هو أداة إنسانية يمتلكها ويستخدمها الإنسان. ولَمَّا كانت مكانة هذا الإنسان في هذا الوجود هي مكانة الخليفة الذي كان العلمُ الذي تَعَلَّمه هِبَةً إلهيةً له، والذي به فُضِّل على الملائكة، والذي به تأهل أن يكون خليفة. لَمَّا كان ذلك كله كذلك، وَجَب أن يعي الإنسانُ دائماً وأبداً أنَّ علمه ووعيه ومعارفه تحكمها حدود النسبي عندما تُقارن وتُقاس بالعلم المطلق والكلي الذي ينفرد ويتفرد به المَوْلَى عز وجل: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: 76] ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: 85]، ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف: 109]. فالإنسان نطاق علمه محدودٌ بنطاق مكانته في الكون وإمكانياته [مكانة وإمكانيات الخليفة] ووظيفته هي إعمال وتأدية رسالة الاستخلاف. ولذلك، كانت خشيةُ علماء هذا المنهج الإسلامي هي خشية المدرك لنسبية أدوات الخليفة وحصيلته بالقياس إلى الكلي والمطلق واللانهائي الذي تنفرد به وتتفرد ذاتُ الله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا... إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: 27-28]، ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: 18].

وبهذا البيان يتضح أنَّ المنهج الإسلامي تتجاور فيه وفي سُبُله في الوعي حقيقة الثقة في العقل الإنساني مع حقيقة رفض الغرور العقلاني، إذا تصورَ القدرةَ على عقل كلّ شيءٍ وإذا تصور أنه هو سبيل الوعي الوحيد (28).

كما يتضح أن إدراك وظيفة العقل، وميدان عمله، وحدود قدراته: هو لُبُّ الاحترام للعقل، وليس فيه انتقاص من سلطانه الذي تألق في دين الإسلام خاصةً إذا عَلِمتَ، وتذكرتَ أنَّ حقيقة نقص العقل الإنساني ونسبية وظنية مدركاته إنما هي من ثمرات العقل ذاته (29).

وبعبارة أخرى فعلُ «التعقل» إنما يتم من إنسانٍ يمتلك سبلاً أخرى للنظر والإدراك. وموضوعات النظر والإدراك وعوالمها من الكثرة والتعقد إلى الحد الذي يستحيل تحصيل معارفها -أو الممكن والمتاح منها- بسبيلٍ واحدٍ من سبل النظر والإدراك هذه؛ فـ القصورُ سيكون شديداً في محصول كل سبيل إذا هو انفرد وانقطعت علائقه بالسبل الأخرى، والأفقُ: سيكون أوسع، والمحصولُ سيكون أغنى، إذا تعاونت سبل النظر والإدراك في تحصيل المعرفة من مصادرها وعوالمها المتعددة المختلفة.

والعقل -في الفلسفة الإيمانية الإسلامية- نعمةٌ مِن نِعم الله على الإنسان، وليس النعمة الوحيدة؛ ولذلك لا تتحقق سعادةُ الإنسان بالعقل وحده؛ لقصور العقل ونسبية إدراكه؛ إذ العقل على عَظَمته وضرورته إنما

يُدرك، إجمالاً، الأعراض والظواهر والخصائص، وأما إدراك الكُنه واليقين فسبيلُه الإيمان ونبأُ السماء والعلم الإلهي الكلي والمحيط [30].

من جانب آخر يؤكد الدكتور محمد عمارة رحمه الله بأنَّ الاعتماد على العقل وحده، يقفُ بالإنسان عند النسبي، والظني اللذَيْن هما غايةُ الاجتهاد الإنساني ويَحْرِمُ الإنسانَ من اليقين الذي سبيلُهُ العلم الإلهي الكلي والمطلق والمحيط، وفي هذا الوقوف والحرمانِ قَذْفٌ للإنسان في بحار الشك الدائم ومجاهل اللاأدريَّةِ، ومن ثم ابتعادٌ به عن نعمة وسعادة اليقين التي لا يوفرها إلا الدين/ الوحي الذي – في حقيقة أمره- يأمر بالعقل ويتكامل معه ولا يضاده ولا يناقضه ولا يقابله بحال.

وبهذا كله يتضح تجاوُرُ «النقل» مع «العقل» في المنهج الإسلامي وفي سُبُله للوعي وتحصيل المعرفة. وهذا التجاور ليس تجاور السكون والانفصال بين سبيلين يستقلان في الوظائف والموضوعات، وإنما هو تجاوُرُ الاجتماع والزمالة والمؤاخاة والائتلاف والتآزر والتساند والتكامل والتوازن؛ على النحو الذي يجعل من هذا التجاوُرِ –بالوسطية الجامعة- سبيلاً واحداً يجمع ويؤلف ما يمكن ويجب جمْعُهُ من خصائصهما؛ الأمر الذي جعل «العقلانية الإسلامية» متدينةً، والنقل الإسلامي عقلانياً [31].

فالعقلانية في الإسلام لم تكن مجرد ثمرةٍ مُفرَدَةٍ لإبداعٍ بشري منبت الصلة بالنقل الديني/ بالوحي الإلهي، فهي: لم تنشأ في مناخ لا نقلَ فيه ولا وحيَ (كما كان الحال مع عقلانية اليونان القدماء)، ولا في مناخٍ أفرزها لِتَنْقُضَ اللاهوت الديني (كما هو الحال مع النهضة الغربية الحديثة)، وإنما كانت عقلانيةً إسلامية: دعا إليها النقل الإسلامي –البلاغ القرآني وبيانه النبوي- لتكون سبيلاً لـ: فقه النقل وتعميق الإيمان به، وازدياد الوعي بمراميه، ورد متشابهاته إلى المحكمات، وتمييز قطعي الدلالة في آياته من ظنّيها.

فلم تكن عقلانيتنا –في النشأة- معزولةً عن هذا النقل (نقيضاً له أو بديلاً)، بل إنها تبلورت ونمت في رحابه وفي سبيل الدفاع عن هذا النقل ضد «النزعة الغنوصية الباطنية» و«النزعة العقلانية المادية» ذواتيِ الأصول الهلينية اليونانية والثمرات الإلحادية، حتى لقد أصبح ديوانُ عقلانيتنا –في علوم حضارتنا- هو «علم التوحيد»، وعلم «أصول الفقه» وهما في المقدمة من علوم الإسلام. فالعقلانية الإسلامية المؤمنة مع الوحي الإلهي، وتفعيله وتنزيله النبوي، تنتظمهم جميعاً.

ولهذا جاء النقل الإسلامي لا ليكون بديلاً للعقل أو مُغنياً عنه أو مستغنياً عن وظائفه، وإنما جاء ليعتمد العقل مناطاً للتكليف به، والتصديق بحجيته، والوعي بدلائل إعجازه، وجاء لِيَرتضيَهُ حَكَماً فيما لابد فيه من التأويل والتفسير.

فالنقل الإسلامي –القرآن الكريم- يُنضج العقل ويُرشده وينميه ويُزكيه، ويجعله مناط التكليف، ويتخذه حَكَماً وحاكماً في فقه مراميه واكتناه أسرار إعجازه واستخراج البراهين والأحكام من سُوره وآياته [32].

حتى إننا نستطيعُ أن نقول –كما سبق البيان- إنَّ هذا النقل –الذي هو معجزة رسول الإسلام- قد جاء معجزة عقلية تميزت في عقلانيتها هذه، وتفردت بها، عن المعجزات المادية لرسالات الرسل السابقين.

وحتى لَنستطيعُ أن نقول كذلك: إن عبارة «العقلانية الإسلامية» تعني وتشمل النقل أيضاً (طالما أنها إسلامية)، وأن عبارة «النقل الإسلامي» تعني وتشمل العقل أيضاً (طالما عَنَيْنا به الوحي الإسلامي؛ القرآن الكريم)، وأن عبارة «المعجزة الإسلامية» شاملةٌ -بهذا المعنى- لـ النقل والعقل كليهما (33).

وبهذا كله أيضاً يتقرر أنَّ ما قد يبدو من تعارض -عند البعض، أحياناً- بين العقل، والنقل، إنما هو: تعارض بين العقل، وظاهر النقل وليس حقيقة معنى النقل، أو مَرْجعه إلى تَخَلُّف صحة/ ثبوت النقل، أو مرجعه تخلف صراحة العقل، أو وجود «ما يعلو على الفهم» لا ما يتعارض مع العقل أو يُناقضه أو يُنكره أو يُبطله أو يَحظره.

فالعقل الصريح قرينُ النقل الصحيح والحكمةُ أختُ الشريعة، والتعارض بينهما غير وارد البتة، اللهُمَّ إلا إذا غابت الصراحة عن العقل أو غابت الصحة عن النقل؛ لأن العقل الصريح لا يثمر إلا الحق، وكذلك النقل الصحيح؛ إذ المصدر واحدٌ وهو الحق سبحانه وتعالى (34).

فما الحديث عن تعارض العقل والنقل إلا أثرٌ من آثار الغلو في أحدهما إفراطاً أو تفريطاً؛ فإنَّ العقل مع الشرع -بعبارة الإمام أبي حامد الغزالي- «نورٌ على نورٍ» (35) العقل يُشْبِهُ نورَ البصر، والشرعُ يُشبِهُ نور الشمس وضياءَها ومن ثم لا قيمة لأيٍّ منهما إذا انقطع عن الآخر.. إنهما هدايتان من الخالق الواحد لهداية الإنسان الخليفة.

فالعقلُ حُجَّةُ الله ودليله لدى الإنسان، وكذلك الوحي.. ومحالٌ أن يتناقض دليلان صادران عن خالق واحدٍ؛ لأنَّ الغاية منهما معاً هداية الإنسان وسعادته في الدنيا والآخرة.

وبهذا كله تتبين خطأ تطبيق منهاج الوضعية المنطقية الأوربية في النظر إلى الوحي والدين والإيمان الإسلامي؛ ذلك المنهاج الذي تصور أصحابه أنَّ للفكر غُرَفاً مُغلَقَةً؛ فجعلوا للوحي والدين والإيمان غرفةً مغلقةً: لا يدخلها العقل والعلم؛ إذ لا علاقة -بزعمهم- بينهما، وللإيمان معايير هي التسليم والاستسلام، وللعقل معايير هي النظر والبرهان، أي إنَّ الوحي والدين والإيمان -وفق هذا المنهاج- لا علاقة لهما بالعقل والبرهان فغفلوا أو تغافلوا، جَهلوا أو تجاهلوا، حقيقة تميز الإسلام والإيمان الإسلامي عن هذا المنهاج الوضعي المادي.

وبهذا كله أيضاً يتضح خطأ اتجاه فلسفة الحداثة الغربية إلى اعتبار «الوعي» نشاطاً مادياً هو انعكاس للدماغ الذي حَسِبَتْهُ العقل، ومن ثم جَعَلت «العقل والتعقل» مادةً؛ حتى لا يكون هناك شيءٌ في الإدراك والمعرفة غير الحس والمحسوس والحواس. وبهذا التوجه المادي وَصَلت الفلسفة الغربية -في قسمتها الرئيسية- إلى الدهرية القائلة بـ فناء التفكير والإرادة مع فناء الدماغ. في حين أنَّ الفكر الإسلامي يَرَى العقلَ ملكةً وغريزة ونوراً وفهماً وبصيرةً وهبها الله سبحانه للإنسان؛ ولذلك فهو ليس عضواً ولا حاسة من الحواس؛ أي إنه موجود في الأذهان لا في الأعيان؛ وإنه هو المستوى الأعلى -في الإدراك- لِمَا فوق الحواس (36).

نعم، صحيحٌ قولُ مَن قال إنَّ كلمةَ العقل –بهذه الصيغة، صيغة الاسم– لم ترد في القرآن الكريم، وليس ذلك لتجاهل القرآن للعقل والعقلانية ومقامهما كما قد يُدَّعَى، وإنما:

أ– لأنه ليس هناك عضوٌ مادي في الإنسان اسمه العقل؛ لأن العقل في الرؤية القرآنية الإسلامية «مَلَكةٌ تَقُومُ بفعل التعقل، ولذلك جاء مصطلح التعقل – وليس اسم العقل– في 49 آية، وجاءت المصطلحات الأخرى التي سبق بيانها.. فالعقل ليس عضواً من أعضاء جسم الإنسان، وإنما هو الملكة التي يَفْقَه بها الإنسان، هو فعل التعقل، و«جوهرٌ –كما قال الجرجاني– مجردٌ عن المادة في ذاته، مُقارنٌ لها في فعله يتعلق بالبدن تَعَلَّقَ التدبير والتصرف، ويدرك الغائيات بالوسائط، والمحسوسات بالمشاهدة» (37)، وبه وبالقلب والنُّهَى واللب، وبالنظر والتدبر والتفكر والفقه، كان التعبير القرآني عن سبيل هذا المنهج من مناهج النظر.

فالعقل مَلَكةٌ، ولطيفةٌ ربانية وليس عضواً في جسد الإنسان.. العقل ليس الدماغ الذي يُفرزُ الفكر كما تُفرِزُ الكبد الصفراءَ، وإنما هو –على عكس التصور المادي– «مَلَكةُ إدراكِ الموجودات بأسبابها (38)» إذا استعرنا عبارة ابن رشد، و«جوهر مُجرد عن المادة في ذاته، مُقارنٌ لها في فِعلِهِ» إذا استعرنا عبارة الجرجاني (39). إنه التعريف الإسلامي الذي لم يَرَ الإنسان مجردَ مادةٍ تُفرز الفكر بتفاعلاتِ جزئياتِ هذه المادة.

ب– ولأنَّ مقام أمرٍ من الأمور، في نصٍ من النصوص، لا يُقاس بعدد مرات ورود لفظه فيه وإنما بمعاني ومضامين هذا اللفظ التي تشير إليها هذه النصوص (40)، فقد لا يَرِدُ الاسم الذي تبحث عنه بحرفه وجسمه، ولكن تجد معناه ومضمونه شائعاً ومنتشراً في داخل النصوص التي تبحث فيها، على النحو سابق البيانِ والتفصيل بخصوص معاني ومضامين العقل والعقلانية.

النتائج:

1– إن مقام العقل في الإسلام هو مكان عال وفريد، ولا نظير له في الشرائع السابقة على الشريعة الإسلامية الخاتمة. العقل في الإسلام هو مناط التكليف بكل فرائض وأحكام الإسلام أي شرط التدين بدين الإسلام.

2– إن الفكر الإسلامي يَرَى العقلَ ملكةً وغريزة ونوراً وفهماً وبصيرةً وهبها الله سبحانه للإنسان؛ ولذلك فهو ليس عضواً ولا حاسة من الحواس؛ وإنما العقل مَلَكةٌ، ولطيفةٌ ربانية التي يَفْقَه بها الإنسان.

3– إن القرآن الكريم هو مصدر ومنبع العقل والعقلانية المؤمنة وبه وبالقلب والنُّهَى واللب، وبالنظر والتدبر والتفكر والفقه والحكمة، كان التعبير القرآني عن العقلانية المؤمنة.

4– إن العقل سبيل من سُبُل المعرفة يستقل بإدراك أشياء، ولكنه لا يستطيع أن يستقل بإدراك كل الأشياء؛ لأنه مَلَكةٌ من ملكات الإنسان المحدود الطاقات والنسبي الإدراك. ولهذا، تتزامل

وتتكامل مع العقل سُبُل وهداياتٌ أخرى (الوحي الإلهي والتجربة والوجدان) حتى يستطيع الإنسان أن يقوم بمهامه في الأرض على وجه لائق حسن دقيق، قَدْرَ طاقته البشرية.

5- إن المقابلة بين العقل والنقل هي أثرٌ من آثار الثنائيات المتناقضة التي تميزت بها المسيرة الفكرية للحضارة الغربية، أما في الإسلام والمسيرة الفكرية لحضارته وأمته وخاصة في عصر الازدهار والإبداع إنَّ العقل لم يكن أبداً مقابلاً للنقل لأنَّ مقابل العقل هو الجنون، وليس النقل، ولأنَّ النقل الإسلامي أي الشرع/ الوحي الإلهي هو الداعي للتعقل والتدبر والتفقه والتعلم، ولأنَّ العقل الإنساني في الإسلام هو أداة فقه الشرع، وهو شرط ومناط التدين به.

6- إن الحديث عن دينٍ بلا عقلٍ، أو عقلٍ بلا دينٍ، هو أثرٌ من آثار الغزو الفكري الذي جاء في ركاب الاستعمار، والذي نَقَل إلينا مشكلاتٍ هي من خصوصيات الحضارة الغربية.

7- إن ما قد يبدو من تعارض -عند البعض، أحياناً- بين العقل، والنقل، إنما هو: تعارض بين العقل، وظاهر النقل وليس حقيقة معنى النقل، أو مَرْجعه إلى تَخَلُّف صحة/ ثبوت النقل، أو مرجعه تخلف صراحة العقل، أو وجود «ما يعلو على الفهم» لا ما يتعارض مع العقل أو يُناقضه أو يُنكره أو يُبطله أو يَحظره. العقل الصريح قرينُ النقل الصحيح والحكمةُ أختُ الشريعة، والتعارض بينهما غير وارد البتة، اللهُمَّ إلا إذا غابت الصراحة عن العقل أو غابت الصحة عن النقل؛ لأن العقل الصريح لا يثمر إلا الحق، وكذلك النقل الصحيح؛ إذ المصدر واحدٌ وهو الحق سبحانه وتعالى.

الهوامش:

[1]. العقل في لغة العرب: هو التثبتُ في الأمور، والفهم وجمع الأمر والرأي. والعاقل: هو الجامع لأمره ورأيه.. ولذلك جُعل العقلُ في العربية حِصْنَ الإنسان؛ وهذا هو السبب في تسمية الحصن بـ المعقِل. راجع: عمارة، محمد. التراث في ضوء العقل، القاهرة، دار الرشاد، 1997م، ص 140. وقال جمهور علماء المسلمين في تعريفهم الإسلامي للعقل بأنه: "ملكة وغريزة ونور وفهم وبصيرة، وهبها الله سبحانه وتعالى للإنسان". انظر: عمارة، محمد. مقام العقل في الإسلام، الطبعة الأولى، القاهرة، دار نهضة مصر، 2008م، ص 8.

[2]. جدير بالذكر أنَّ النصوص، في أي منهج، ليست عيباً، فليس هناك دينٌ ولا فلسفة ولا مدرسة فكرية بلا نصوصٍ، بل إن الذين يُهاجمون النصوص إنما يعتمدون على نصوص! وإنما النقد يُوَجَّهُ إلى العزوف عن استخدام مناهج النظر في فقه النصوص، وإلى الوقوف عند ظواهر [حرفيات] النصوص دون تفسيرها في ضوء المقاصد التي جاءت النصوص لتحقيقها. راجع: عمارة، محمد. السلف والسلف، الطبعة الأولى، القاهرة، وزارة أوقاف جمهورية مصر، 2008م، ص 27.

3 . عمارة، محمد. مقام العقل في الإسلام، المرجع السابق، ص 3-4.

4. عمارة، محمد. شبهات حول الإسلام، المرجع السابق، ص 47-49.

5. المرجع السابق نفسه، ص 108.

6. الخارج من منزله يسعى إلى المسجد، لا بد أن يصل إلى المسجد عبر الطريق.. فكان المرور بـ الطريق قبل المسجد لا يعني تفضيل الأول وتشريفه على الثاني، وإنما هو الترتيب المنطقي للأمور. فكذلك هو العقل. راجع: عمارة، محمد. الغزو الفكري وهم أم حقيقة؟، المرجع السابق، ص 50.

7. عمارة، محمد. الإسلام وفلسفة الحكم، الطبعة الأولى، القاهرة، دار الشروق، 1989م، ص 180.

8. ليس هناك استقلال للنظر العقلي عن غيره من سبل النظر والإدراك، وإنما تتفاوت المناهج وأصحابها في المقام والأهمية التي تُعطى لكل سبيل من سبل النظر في عملية البحث عن الحقيقة، وهو تفاوت يجب أن تحكمه طبيعة المبحث وميدان النظر وحقل التفكير. راجع: عمارة، محمد. أزمة الفكر الإسلامي المعاصر، القاهرة، دار الشرق الأوسط للنشر، 1990م، ص 14.

9. عمارة، محمد. الدين والحضارة-عوامل امتياز الإسلام (شهادة غربية)، الطبعة الأولى، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، 2005م، ص 31.

10. عمارة، محمد. ابن رشد بين الغرب والإسلام، الطبعة الأولى، القاهرة، نهضة مصر، 2004م، ص30.

11. لغةً: لُبُّ كُلِّ شيءٍ ولُبابُهُ نَفْسُهُ وحقيقته وخالِصُهُ وخياره، ولُب الرجلِ ما جُعل في قلبه من العقل، واللبُّ هو العقل؛ انظر لجميع التعريفات: عمارة، محمد. مقام العقل في الإسلام، المرجع السابق، ص 11، 12.

[12]. لغةً: النُّهْيَةُ هي العقل؛ وسُمِّي العقل بذلك؛ لأنه ينهى عن القبيح؛ ولأنه يُنتَهَى إلى ما أَمَرَ به ولا يُعْدَى أمره.

13. لغةً: الفكر هو التأمل، وترتيب الأمور المعلومة لتؤدي إلى المجهولة، وتصرفُ القلب في معاني الأشياء لدرك المطلوب، وسراجٌ في القلب يَرَى به القلبُ خيره وشره ومنافعه ومضاره.

[14]. الفقه: هو التوصل إلى عِلمِ الغائب عن علم الشاهد.

[15]. لغة: التدبر يعني التأمل والتعقل والنظر والتفكير والاعتبار في أدبار الأمور وعواقبها.

[16]. الاعتبار: الاستدلال بالشيء على الشيء، والتدبر والنظر والقياس.

[17]. الحكمة: الإصابة في غير نبوة (أي الصواب الذي يصل إليه العقل البشري بصرف النظر عن دين صاحبه أو عن مذهبه)، ومعرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، وكل ما يتحقق فيه الصواب من القول والعمل، وإحكام الأشياء وإتقانها، وهي كذلك: ما نزل به الكتاب العزيز الوحي؛ أي الإصابة التي جاءت بها الرسالة السماوية الخاتمة، فالحكمة، أي الإصابة، لها مصدران: الوحي (أي الإصابة في النبوة)، والعقل الإنساني (أي الإصابة في غير النبوة)، وهما هدايتان من الخالق الواحد للإنسانِ المستَخْلَف في إقامة العمران فهما أُختان رضيعتان ليس بينهما تناقضٌ أو شقاق، وبعبارة ابن رشد، مُصْطَحَبَتان بالطبع، ومتحابتان بالجوهر والغريزة. راجع: عمارة، محمد. ابن رشد بين الغرب والإسلام، المرجع السابق، ص30.

[18]. جاءت الآيات القرآنية في التعبير عن «العقل» بمصطلح «القلب»، وهذا الجمع القرآني بين المصطلحين [التعقل والقلب] فيه إشارةً إلى جمع الإسلام -في فلسفته- بين تقوى القلوب وعقل العقول؛ على النحو الذي يُبَرئ الفكرَ الإسلامي من الفصام النكد بين الخبراء العقليين الذين لا قلوب لهم والفقهاء القلبيين الذين لا عقول لهم: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾

[الحشر: 21]، ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: 28]. ولذلك فالذين يقرأون القرآن لا يُجاوِزُ تَراقيهم أي دون أن تعقله قلوبهم فإنهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية كما يقول صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه البخاري ومسلم. فالقلب –في النسق الفكري الإسلامي: لطيفة ربانيةً، لها بالقلب الجسماني تعلق، وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان، ولهذا بها يُعَبَّر عن العقل: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ﴾ (أي: عقل). [ق: 37] ولهذا فإنَّ العقل محله القلب، لا بمعنى العضلة الصنوبرية، وإنما بمعنى «جوهر الإنسان»: ﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٌ يَعۡقِلُونَ بِهَآ﴾ [الحج: 46] فالعقل: نورٌ معنوي في باطن الإنسان، يُبصر به القلب (أي: النفس الإنسانية) المطلوبَ؛ نورٌ في القلب يعرفُ الحقَ والباطل؛ نورٌ غريزي، مع التجارب يزيد، ويقوى بالعلم والحلم. راجع: عمارة، محمد. مقام العقل في الإسلام، ص 10-11.

19. عمارة، محمد، معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام، المرجع السابق، ص 164.

20. عمارة، محمد. مقام العقل في الإسلام، المرجع السابق، ص 11، 13.

21. عمارة، محمد. الفاتيكان والإسلام، الطبعة الأولى، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، 2007م، ص38.

22. عمارة، محمد. مقام العقل في الإسلام، المرجع السابق، ص 12.

23. عمارة، محمد. شبهات حول الإسلام، المرجع السابق، ص 50.

24. عمارة، محمد. مقام العقل في الإسلام، المرجع السابق، ص 13.

25. عمارة، محمد. مقام العقل في الإسلام، المرجع السابق، ص 19.

26. عمارة، محمد. شبهات حول الإسلام، المرجع السابق، ص 50-51.

27. عمارة، محمد، معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام، المرجع السابق، ص 17.

28. عمارة، محمد. معالم المنهج الإسلامي، المرجع السابق، ص 58.

29. عمارة، محمد. حقائق وشبهات حول القرآن الكريم، الطبعة الأولى، القاهرة، دار السلام، ص 115.

30. عمارة، محمد. إسلاميات السنهوري باشا – إسلامية الدولة والمدنية والعمران، القاهرة، دار السلام، 2010م، ص 115.

31. عمارة، محمد. معالم المنهج الإسلامي، المرجع السابق، ص 63.

32. عمارة، محمد. معالم المنهج الإسلامي، المرجع السابق، ص 64.

33. إنَّ المنهج الإسلامي هو المنهج الذي يعقلُ النقلَ، بحيث يغدو فيه النقل: برهاناً عقلياً، لا كما تنحو المناهج الأخرى التي تقيمُ التقابل أو التضاد أو المنافرة أو غيرها بين النقل والعقل.

34. عمارة، محمد. السلف والسلف، المرجع السابق، ص 41.

35. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي. الاقتصاد في الاعتقاد، بيروت، دار الكتب العلمية، 2004م، ص 10.

36. انظر: عمارة، محمد. مقام العقل في الإسلام، المرجع السابق، ص 8.

37. الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف، التعريفات، الطبعة الأولى، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، بيروت، دار الكتب العلمية، 1983م، ص 151.

38. ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، تهافت التهافت، بيروت، دار الكتب العلمية، 2013م، ص 351.

39. وإلى هذا انتهت الفيزياء الذرية المعاصرة (والتي نَأَتْ بالعلم عما كان يتسم به في الغرب من اتجاه مادي في القرن التاسع عشر الميلادي)، حيث أثبت علماؤها الغربيون –علماء وأعلام جراحة الأعصاب الغربيون– أنَّ «العقل والإرادة غيرُ ماديَّيْن، وأنهما من ثم ملكتان لا تخضعان –بالموت– للتحلل الذي يطرأ على الجسم ودماغه كليهما». راجع: أغروس، روبرت م، وجورج ن، ستانسيو. العلم في منظوره الجديد، المترجم: كمال خلايلي، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1970م، ص 41. وبهذه النتائج تُضاهي التجربةُ الغربية الجديدةُ التجريبيةَ الإسلامية المؤمنةَ فيما انتهت إليه من معطيات، مع تميز هذا المسار الإسلامي بأنه لا ينطلق في المعرفة من الواقع والحس والتجريب فقط، وإنما ينطلق أيضاً من كتاب الوحي، وهو ما يفتقده ويفتقر إليه التجريبيون الغربيون الجدد. راجع: عمارة، محمد. إسلامية المعرفة ماذا تعني؟، المرجع السابق، ص 88.

40. وإلا لكان مقام الشيطان أعلى من مقام محمد عليه الصلاة والسلام؛ فلقد جاء ذكر الشيطان في القرآن في 99 موضعاً، بينما جاء ذِكرُ محمد وأحمد فقط 5 مرات.